الثورجية والصحبجية .

مر من دون ميعاد فستبقيناه للعشاء، يختصر المراحل والازمنة يواصل صعودة حتى عتبة النهار، مطلاً على مشهد حديث تماما ؛لم يكن يظهر فى اعماق ليلة البارحة؟البارحة ...!! حدث ما عكر فجأة اجواء الامسية ، حول مائدة عامرة، جلوس نتناوب تبادل الاطباق العريضة، لم يكن قد حان بعد وقت طقوس تحرك الشفاة، قصد الصدر ورفع عقيرته الحادة جالبا الانتباه لما سيقول، حيا سيدة الدار واستماحها عذرا فى خطاب قصير، صد النفوس واصدرها، أرجل وارتجل وترك غصة فى الحلق والأذن، كيف لكم ان تهنؤا، عد النواقص والنوازل والحدود والحشود وتركنا وقد عزا المسرات ترف وأوردنا موارد القرف، غشيتنا كآبة وتلونت الابتسامات والنظرات، لم أبه له فقد كنت جائعاً عن إيقاعه الساحر فى الخطابة، وسرعان ما صلصلت ملعقتى فى الاطباق فكانت ضربة البداية التى اتبعها رنات وقراعات، شاركنا بضبع لقيمات وانسل إلى الشرفة حيث وافته القهوة والجرائد ؟.

وعت شهر زاد الحقيقة، مالت رأسها وبسرعة لدغة عقرب أسرت إليَّ يراودك حلم، تنتبه فإذا جزء منه لا يزال يهمس فى

عقلك، يتذكرك ويذكر به، زفير من الأعماق وان خلت الرؤية من الكوابيس، صدى الكلمات لا يزال رنينة فى الذاكرة، خرج مشرداً، حافى القدمين من حرب ضروس كل أولاده فقدهم الواحد تلوا الاخر، سار قاطعا الأرض من حلب حتى الحدود التركية، يقتات العشب والشجر وصناديق القمامة ، ولت أيام حتى وصل الأسكندرية عروس المتوسط، لدينا فى الشام شبيهتها الأسكندرونة حتى خان الخليلى القاهرى يوجد شبيهة فى دمشق، إنى أمرؤ هائم، أكاد أكون صائم الدهر، قلت مسرية عنه : أتعاطف مع ما أصابك فأنا أم ، أيضا أعرف حرقة الفقد والقلق المخيف حين التعرض للخطر لكننا نراكم بعين الناقد، حتى وإن كانت أراضينا تشهد نفس الثورة ؟ عزا ذلك إلى أن أرحام العرب تقطعت وإن الطعنات نالت الحشا والضلوع، قام قاصدًا الباب، تولى إلى الظل فى ذاكرتى، فقد كانت الأولاد يستعرضون مشاكلهم اليومية وقدراتهم على إزعاجى حقا بمنغصات التوافة من الأمور، تحول الوقت إلى الضحى سريعا حين سمعوا لأول مرة عن الحملة نعم اشتركت فما يضيركم من أمرها دعونا نرى من يرى راينا فى ذلك الأمر ، هذا العبث لا بد أن يتوقف، بيتك وأولادك أولى بوقتك من تلك الحملة، عينات قليت على السنة وفى العيون والتصرفات، بواكير حالة التمرد التى أعيشها بدأت فى التشكل فى حواسى؛ لا إنه الخوف أن يشابه مصيرى ذلك الرجل السورى القادم من الشام .!!!

صهل الجواد بصوت نافر، قفز الحاجز إلى المحيط ، روعة الغضب والقفزة المثيرة أوقفتنى مشدودا حائرا، هل اجرى ورائة محاولا الامساك بطرف اللجام الذى يتدلى ورائة، ام اتركة حتى يهدأ، الوقت يقترب من الاصيل والنادى غافل عن ان جوادا انطلق من عقالة واصوات الطرقات والكلمات الارشادية للخيالة تملا أجواز الفضاء، وحدى ظللت أتابع كيف انطلق بلا هوادة أو هدى، ولاء الثورة هادية ومرشده، كان قد تخطى الحواجز بلا اى فارس يمتطية أو يواجهه، رغم ذلك اجاد ، اقترب رجل عسكرى فى ملابس مموهة تماما، نظارتة السوداء تحجب الشمس وتخفى تفاصيل الوجة، تابع باهتمام ، هل أدرك أن الفرس بلا قائد، وحدى ظللت أتابع وأنا أظن أنى مدرك لجميع الحقائق ، يبحث عن مخرج وسط البشر وأصوت وفرسان لا يزالون يجربون فن القيادة، واصل العدو الدخول فى الممرات الضيقة بين الحظائر والسدود، أعمانى الغبار للحظة غير إنى أدركت أن شيء ما يحدث، تحرك العسكرى من جوارى بغتة، كان هو الآخر يجرى تجاة الجواد الجامح غير إنه كان يدرك ما يريد، كان الجواد قد اتخذ طريقه إلى حظيرة عالية الأسوار ليس فيها من سبيل غير المدخل الذى مرق منه، لحظات وأدرك أن الحلقة مغلقة فرتد يريد المدخل الذى سرعان ما ارتقاه ذلك الجندى مموه الثياب فأحكم غلقه أدرك أن كلاهما لن يستسلم من الجولة الأولى فقد كان الباب المخلق ليس فى علو السور من حوله، تراجع الجواد بسرعة ودار يريد قفز الباب، سابق الجندى

الريح وبسرعة بديهية كان قد أحضر لوحين من الخشب ليرتفع الباب ليساوى الأسوار العالية، كان الجواد عند حسن ظنى فلم يستسلم عاد أدراجه إلى مسافة أبعد يحاول التخطي، أسقط فى يد الجندى فحتى لو عنده لوح آخر فأين سيتم تثبيته وقد تساوت الأسوار حول الباب والقفزة ستطيح باللوحين حتما ولن تمنعه من خرق الحصار؟!!.

❖ ❖ ❖

اخترقت أصوات صلاة الفجر الحشود الساهرة فى ميدان التحرير ورفع الأذان والإقامة وانتظم الألف يؤدون الصلاة فى صفوف متماسكة، كان الفجر ممتزجا بصوت ورائحة النيل، أقسم إنى سمعت صوت صياح الديك والكروان يسبح ولا أعلم من أين آتيا، قلت لها: أصدقك فكثيرا ما أسمعهم ولا ألقى لهم بال؟

قالت وهى تجادل :الوقت سيزداد حرارة كلما تقدم النهار، هذه الحشود ستكمل واقفة حتى صباح اليوم الثاني، إذا كان بك تعب فاخطف من الزمن ساعتين راحة؟ انه إقتراح معقول يا ولاء لكن هناك عدد من التسألات لا زال يطن فى رأسى منذ ان رأيتك فى عشاء الاسبوع الماضي، قالت :عادي، اسأل وأنا أجيب فالوقت ما زال مبكرًا على الهتاف الحر المباشر؟ قصدت أن أجعل صوتى خفيضا: سمعت أنك أعطيت الشامى نقودا، مبلغ كبير أليس صحيح هذا الذى وصلنى من صديقتك شهرزاد قالت إنها حملته له

بنفسها؟ ارتسم شيء من الاهتمام على ملامحها: ليس كبيرا بمقاييس ما حدث له ثم إنى أعطيته ما يتيح له الحياة بكرامة، فلا أرحام العرب تقطعت ولا إغاثة الملهوف ماتت فى نفوس الناس، ولكن قل لى ماذا يعنيك فى هذا، شيء بينى وبين ربى كيف تحشر نفسك فية ياخ....يا صديقي؟ قلت وانا اتملص من الهجوم : انت قلتها أنا صديق ، ربما أولادك أولى فى اعتقادي، ربما اعتدت أن النساء ليس من الائق لهن ذلك، ضحكت فى سخرية:الا ترانا تغيرنا من أيام الثورة ومن قبلها، لم يعد هناك ذلك الشيء الذى تدعية، هذا الجزء من الماضى وعموما هذا المال فداء لأولادى ورحمة ونورعلى كل الشهداء الذين سقطوا فى هذا المكان حيث جنة الأطهار والذين سيسقطون إذا قدر الله فى المواجهة والموجة الثانية، غيرهذا الموضوع فقد توليت إلى الظل وقلت ربى لما أنزلت إلى من خير أنا فقيرة إليه حقاً، استجبت سريعاً لم اجد مناصا من اروى لها قصة الحصان فقد كانت مثيرة، تسائلت باهتمام ...هل قفز، هل قفز؟!.

تراجع الحصان حتى الحد الذى يسمح له الانطلاق بالقفز، عبر الجندى إلى اللوحين غير المثبتين جيدا، وقف على الباب يريد صنع عزم لهما بوضعها بين رجلية ، كان وضعة خطيرا جدا فقد كانت إنطلاقة الحصان ستسحقه أو أن تلقيه من منثوراً مقهوراً من ارتفاع، الحصان لا يريد أن يستسلم وكذالك الجندى لا يريد أن يخرج عن السيطرة، إرادة من ستنتصر ؟

توقفت لبرهة وأنا لاهث الأنفاس، استحثتني؛ نعم قفز، جاء على الفاصل بين السور والباب من أعلى شكل المثلث فاغرًا فاه يسمح له بالمرور من تلك الثغرة إلى الخارج مرة أخرى، أبى الحصان النبيل أن يقتـل الضابط أو يصيبه بضرر، فقفز ووقف خلفة وهو معلق على الباب ينظر إليه، ثم لوى عنقه واستمر يجرى فى طرقات النادى؟